(أساطير القصص)

(الحدية ، والحية ، والغراب)

قيل : أن هناك شابٌ وزوجته وأخته كانوا يعيشون سوياً في كبد الصحراء بعيداً عن الناس ، وكان بين الشاب وأخته ودٌ وحبٌ وعطفٌ عظيم ، لا تغيره مرور الأيام ، ولا زيادة الأعمار ، ولا كثر الأبناء ... وكانت زوجة الشاب داهية كبيرة تغتاظ إذا رأتهم في تلك الحالة ، فقررت أن تتخذ الحيل والسبل للتفرقة بينهم ..

ففكرت وقررت أن تضع ثلاث بيضات (بيضةٌ لحية ، وبيضةٌ لطير الحدية ، وبيضةٌ لطير الغراب) للأخت المسكينة المريضة ، فقالت لأخت زوجها : دواءك هو بلع هذه البيضات الثلاث دون تكسير !! ، فما كان من المسكينة الأخت إلا أن بلعت هذه البيضات الثلاث .. وبدأت بعد يومين علامات سم الحية تظهر على الفتاة (الأخت) ، فكانت تصاب بإرهاق وإعياء، ودوارٌ ... فوقع ما خططت له زوجة الشاب الماكرة ، فذهبت إلي زوجها وقالت له : إن أختك قد زنت وهي الآن حبلى وقاربت ولادتها ... فدُهش وصُعق من هذا الخبر ، كيف لا ، وهي أخته التي أحبها وكرمها وأنزلها المنزلة الرفيعة عنده ، فلم يصدق زوجته ، وقال لها : برهني لي هذا الأمر ، وإلا قتلتك .

فقالت له علامات الحمل (وكان لا يعرفها) : أنها إذا جلست في الظل لن تمكث تحته كثيراً وسوف تتألم ، ولن يريحها إلا الجلوس في الشمس .

فقال لها : وكيف أتأكد ؟!

فقالت له : خذها في مكانٍ بعيد ، فإذا تأكدت اقتلها في مكانها ...

فما كان من هذا الشاب إلا أن يخضع لحيل زوجته المخادعة ، ويذهب بأخته إلي مكانٍ قصيا ... وأثناء السير كانت الفتاة (أخته) لا تقترب من الظل ، الذي يعييها إذا مكثت فيه ، وكانت لا تهدأ إلا إذا كانت تحت أشعة الشمس الحارقة .. فبدأت البراهين أمام الشاب تظهر ، وبدأ الحزن يخيم عليه على أخته التي خانته وغدرت به وعرضت بشرفها وشرفه ..

فقرر بعد تفكيرٍ عميق أن لا يقتل قلبه بل سوف يرمى بها في جبٍ ما له قرار ، فأخذ بها عن حيلةٍ فانزلها في الجب لتجلب له الماء ، وبعدما نزلت ، رمى لها بالحبل وتركها مع صيحاتها والآلمها التي كانت تطعنها كالسكاكين بمساعدة ظل الجب البارد ... وفي ذلك الجب حدثت حادثة غريبة عجيبة أثارة في الفتاة الدهشة والخوف ، رأت أن حيات الجب تقترب منها ولا تلدغها .. ثم تقترب منها ولا تلدغها .. ثم تقترب منها ولا تلدغها .. وهكذا سار معها الأمر عدة أيام حتى بدأت تأنس للحيات وتلاعبهن .. وفي المقابل بدأت الحيات بحمايتها من هجوم العقارب السوداء الذي لا يهدأ ...

وبعد مرور الأيام والليالي في ذالك الجب ، ولدت هذه الفتاة وأنجبت أبناءها الثلاثة (الحية ، والحدية ، والغراب)

فمكثت تقتل جوعهم بأعشاب الجب حتى كبروا واشتدت قواهم على هذه الحياة ..

فقاموا وأخرجوها من بئرها التي مكثت فيه لياليٍ وأيام ، بمساعدات الحيات الوفيات للقريب .

فخرجت ومشت على سطح الأرض بعد القبوع في غبة الجب التي طالت لأكثر من عشرة شهور .

فاتخذوا من دوحة كبيرةٍ بيتاً لهم ، فكانت ابنتها الحية تحميها ، وابنتها الحدية تجلب لها الطعام ، وابنها البار الغراب كان يحذرها من الزوار ...

ومرت السنين وهذا حالها مع أبناءها الثلاثة البارين بها ...

وفي ليلة من الليالي نزل بالقرب من دوحتهم الكبيرة ومنزلهم الأخضر شابٌ وامرأة في بيتٍ من صوف الغنم .. فعرفتهم أم الغراب ، وأخبرت أبناءها الثلاثة ، وحذرت الحية والحدية ، ونبهت الغراب !

ثم دارت في رأسها فكرة ، وهي أن تثبت لأخيها أنها بريئةٌ مما نُصب لها ، وأنها سمكة سقطت في صنارة زوجته ..

فقالت لابنتها الحدية : اذهبي إلي ذاك البيت ، واخطفي عمامة (خالك) وأتي بها إلي هنا .

وقالت لابنها الغراب : جُل وحلق فوق البيت وقُل مع نعيقك: (يا خالنا يا طنقرة .. يا بايع أخته بالمراه)

وكانت الحدية تنصت لقول أمها ، غاضبة على زوجة خالها ، ولكنها كتمت غيضها حياءاً من أمها .. ثم قالت الحدية : على الفور يا أمي ، فطارت الحدية .. وطار هو أيضا الغراب الابن البار

فوجدوهم يحتفلون بمولودٍ لهم ، وكانوا يذبحون الناقة فرحاً بهذا المولود ... فأخذ الغراب ينعق ويقول : (يا خالنا يا طنقرة .. يا بايع أخته بالمراه)

وأما الحدية .. فاقتربت من منزلهما وخطفت عمامة خالها المرمية على طنب البيت ، وغمستها بدم الناقة فحلقت ليس ببعيد ليتبعها خالها وهو في حالة ذهول وغموض .. فاستغرب وارتعب .. وأخذ بملاحقة الحدية ، وهي تبطئ من طيرانها حتى يتبعها بقطرات الدم المتناثرة من السماء ، فبدأ بالجري خلفها ، حتى اقترب من الشجرة ، فهمت الحية أن تنتقم لأمها المسكينة ، إلا أن أمها زجرتها ومنعتها ، وقالت لها : خالك .. خالك ..

ثم اقترب بخطواتٍ حذرة وأعينٌ مترقبة وفكرٌ منشغل بما يتخلل هذه الشجرة العظيمة الكبيرة ، وما زال يقترب ويقترب .. حتى تجلت له أخته من بين الأوراق والأغصان يحيط بها أبناءها البررة الثلاثة الحية والحدية والغراب .

فما كان أن يصدق ما ترى عينه ، وهل هو في حلمٌ بمنامه أو كابوساً زاره ...

وبدأ يقول لنفسه : هل هذه أختي التي رميت بها في البئر ؟

هل هذه أختي التي لوثت شرفنا ؟

هل هذه أختي التي حملت من ذاك الخائن ؟

وبدأت الأيام والليالي تُعاد في ذاكرته بلمح البرق ... ولكنه أوجس خيفة من مشهدٍ تراه عينه .. مشهدٌ يرى أخته فيه محاطةٌ بثلاث حيوانات يقتلونها في عاداتهم البدوية .. بثلاث حيوانات لا يعرف مدى هذا التآلف بينهم ! !

فحيت به أخته ، وانتصبت الحية تحييه ، وحلقت الحدية هي أيضاً لتحييه ، وأخذ الغراب يغرد بنعيقه تحية لخاله ...

فبدأ يجر قدميه خوفاً .. وتسارعت نبضات قلبه ، وتصبب عرقه ، مما يرى .. فحيت به أخته وعانقته لتذهب عنه روع ما يرى ، وحضنته بعد فراقٍ طويلٍ سببه زوجته .. وبعد الهدوء والسكينة مما انتابه .. اجتمعوا الخمسة ، في ليلة مقمرة جميلة هادئة .. فأخذت أخته تُقص عليه القصة ، وأخبرته بما حدث ..

ومع طلوع شمس فجر اليوم التالي بعد أن كُشفت الحقيقة وعرف الشاب خُبث زوجته ، ونقاء أخته .. عزموا على الرحيل .. عزموا لقتل الحاقدة .. فأخذوا الخمسة يسيرون طاوين الأرض طياً .. فما أن بدى لهم البيت من بعيد .. حتى رأتهم الزوجة .. وعرفت أن الحقيقة قد بانت ، وأن أكاذيبها قد قُطعت .. فأتى زوجها الشاب الغاضب ، وسيفه في يده يلتهب كقلبه الملتهب .. وقبل أن تبدي كلماتها .. مد سيفه ليبرق ضوءه في السماء ، ثم أنزله كنزول المنحدر ليقلع به رقبة تلك الخائنة ، ويرمي به إلي وحوش الصحراء ..

وعاشوا الخمسة في صفاء وهناء ، بعد سنة من العناء ...

ملاحظة / هذه القصة من نسج الخيال ـ منتديات ملتقى طلاب وطالبات جامعة الملك فيصل ـ

كاتب القصة / فواز بن ناصر